بين الظّواهر النّحويّة والتّداوليّة في كتاب الفسْر لابن جني

لمى خطيب*، ناديا حسكور**

*طالبة دراسات عليا(ماجستير)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حلب

** قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حلب

الملخص

ممّا لاشك فيه أنَّ التّداوليّة كان لها أثرها في تفسير المعنى وربطه بكثير من الظواهر النحوية التي تلوّنت بخصائصها ومزاياها، ويمكننا تلمّس الآفاق التي فتحتها هذه النظريّة في جوانب نحويّة مختلفة – سيظهرها البحث – من مثل حروف العطف وبعض الأساليب النّحوية وغيرها من المظاهر المختلفة.

تأتي أهميّة البحث من خلال ما تلمسناه عند ابن جني من جوانب تداوليّة مختلفة تتعلّق باللّغة ومستعمليها، وعليه فإنّ هذا الموضوع يمثّل مضغة الاهتمام الأولى عند القدماء، لرصد خصائص اللّغة، وتبيين جوانب قوتها وضعفها من خلال ربط العلاقة بين أطراف العمليّة التّواصليّة في العالم الخارجي.

و يمثّل البحث لنا جرأة ابن جني في خطّ أسسٍ وقوانينَ تداوليّة تمثّل لبنةً معرفيَّةً بالخطاب وأجزائه وشروط نجاحهِ وإقناعهِ، وهذا ما جعل تحليلاته، تفرز لنا مصطلحات في غاية الأهميّة، جعلتنا نستجليها ، لنعرف أصولها وتطبيقاتها، فألفينا تصورات ومبادئ جوهريّة تخصّ الخطاب وإجراءاته كقاعدتي "التّحسين والاحتياط " اللّتين انعكس أثرهما على ما يُسمَّى حديثاً "بالإعراب التّداولي" الذي يهتم بالظّروف الخارجية غير اللّغويّة التي أسهمت في توجيه الإعراب الذي هو فرع المعنى .

وظهرت لنا خاصية أخرى كشفها ابن جني، وهي خاصية "الإلغاء "لما يُسمّى حديثاً "بالاستلزام الحواري" الذي اقترحهُ غرايس. لذلك كانَ لابدَّ لنا من وِقفات متأنية في كتاب الفسر، كشفت لنا عن الجهود الجبّارة التي قدّمها ابن جني .

الكلمات المفتاحية: المقصديّة ، المقبوليّة، قاعدة الاحتياط، قاعدة التحسين، الاستلزام الحواري

ورد البحث للمجلة بتاريخ 2020/2/5م

قُبل للنشر بتاريخ 2020/7/7م

المقدمة :

وجد القدماء أنّ للإعراب دوراً في تبيين المعنى، ولولاه لكان الكلام طريقاً واحداً، ومن ثمّ فإنّ اختلاف الإعراب يؤدي إلى اختلاف المعنى . وممّا جاء في كتبهم بهذا المعنى تعريف أبي بكر الأنباري (577) الذي وجد أنّ الإعراب هو الكشف عن المعاني((سمّي بذلك لأنّه يبيّن المعاني ، مَأخوذ من قولهم : أعرب الرّجلُ عن حجته إذا بيّنها...)). [1]

وممّا جاء في تعريفه أيضاً ((فأمّا الإعراب فبه تميَّز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين وذلك أنّ قائلاً لو قال: ما أحسن زيد، غير مُعربٍ ، لم يوقف على مراده ، فإذا قال ما أحسنَ زيداً ! أو ما أحسنُ زيدٍ؟ أو ما أحسنَ زيدٌ، أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده)) [2]، فالجانب الصّوتي (الحركات) قد أثّر في الحكم الإعرابي وتلوُّن معاني الأساليب النّحويّة التي **أرادها المتكلّم**.

والإعراب عند ابن جني معتمدٌ اعتماداً كليّاً على المتكلّم الذي يقود زمام كلامهِ وفقَ المعاني التي يريدُ أنْ يوصلها ومقاصده ((فأمَّا في الحقيقة ، ومحصول الحديث ، فالعملُ من الرّفع والنّصب والجرّ والجزم ، إنّما هو للمتكلّم نفسِه ، لا لشيءٍ غيرهِ)). [3]

ويفضي بنا الحديثُ عن الإعراب إلى الوقوف عند " التّحليل الإعرابي "، فهو عند د. فخر الدّين قباوة ((صور صوتيّة معيّنة، لمعانٍ سياقيّة ومواقع تركيبيّة مخصوصة، تتحقّق في الأداء الكلامي أو الكتابي أو الذّهني)). [4]

ولا يخفى أنّ الإعراب عند الباحث يتأثر بعناصر السّياق بشقيه اللّغوي والمقامي ويكون مكتوباً أو منطوقاً وظاهراً أو غائباً أي مقدّراً في الذّهن.

([1]) الأنباري، أبو البركات عبد الرّحمن بن محمد بن أبي سعيد : أسرار العربيّة ، تح: محمد بهجة البيطار ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بمشق، (د.ت)ص18.

([2]) السيوطي، وهو عبد الرّحمن جلال الدّين : المزهر شرحهُ وضبطه: محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون ، ط:3، مكتبة دار التراث ، القاهرة، (د.ت) 1 /329.

([3]) الخصائص : تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية ، المكتبة العلميّة، 1،1952/109-110.

([4]) منهجيّة التّحليل النّحوي للنصوص الأدبيّة ، ط: 1، مكتبة لبنان، دار صائغ، 2012، ص31.

هذا وقد تأثّر التّحليل الإعرابي والمعنى النّحوي بالجوانب التّداوليّة المختلفة التي أُطلقَ عليها حديثاً علم ((التّواصل اللّغوي وتفسيره)) أو ((علم الاستعمال اللّغوي)).[1]

وابن جني في كتابه الفسر كشف لنا سماتٍ وظواهر لغويّة مختلفة ، اتّسعت معانيها بحكم استعمالها، فقد ((آمنَ ابن جني –مثل غيره من القدماء–بأنّ للصوت والصّيغة والتّركيب أصولاً تخضع للتحوّل عند الاستخدام اللّغوي بحكم ظروف الكلام ، ومواقفه المتجدّدة وطبيعة المعاني التي يروم المتكلّم إبلاغها . ونحنُ نواجه في المحصلة النّهائيّة، نسقاً لغويّاً قادراً على تمثيل مواقف المتكلّم المختلفة)). [2]

والأمثلة التّطبيقيّة الآتية، ستبيّن ارتباط المعنى النّحوي من خلال استعماله وتأثيراته على المتكلّم أو المخاطَب اللّذين يُعدّان قطبا العمليّة التّواصلية، كما سيظهر اعتداد ابن جني بظواهر الإعراب المرتبطة بالموقف الكلامي بين المتكلّم والمخاطب في موقفٍ تواصليٍّ أظهر تأثُّر الإعراب بمؤثرات خارجيّة.

أوّلاً–مقصديّة المتكلّم (منشئ الخطاب):

تحضرُ مقصديّةُ منشئ النصّ في أبوابٍ نحويَّةٍ واسعةٍ، لتفرّقَ بين المعاني التي يحملها المتكلّم ويبتغي توصيلها ((ولا يخفى أيضاً ما لقصد المتكلّم من حضورٍ بارزٍ في التَّفريق بين معاني الأدوات التي تشترك في الباب العام الذي تندرج ضمنهُ من مثل التَّفريق بين(إنْ) و(إذا) حينَ تراد الدلالة على شرط محقَّق الوقوع على حين تُستعمَل (إنْ) في مقام الشرط المُحتمَل غير المُحقَّق، أو المشكوك تحقُّقه)) [3]

وابن جني قد أعلى في كتابه من مصطلح "المقصديّة" وانطلق منها في تأويل النص وتفسيره ، فقد استفاد من معاصرته للمتنبي وملازمته له وانخراطه معهُ

([1]) الصّحراوي، مسعود: التّداوليّة عند العلماء العرب ، دار الطّليعة ، بيروت(د.ت) ص16–17.

([2])مشبال، محمد: البلاغة والأصول (دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي نموذج ابن جني) أفريقيا الشّرق، المغرب، 2006، ص63.

([3]) بكبوك، نور محمد فاضل: المقصديّة في الدّرس البلاغي والنقدي في ضوء الدراسات الحديثة ، إشراف : أحمد محمد قدور ومشاركة : سيرين محمد فاضل سيرجية، رسالة دكتوراة، جامعة حلب، 1439–2018، ص118.

في مناقشة ما غمض من شعره ، فهو بهذا أقرب إلى مصدر النص من الذين أتوا بعده)) [1]

وفي الأمثلة الآتية سنتتبَّع كل ما يتصل بمقصديَّة المنشئ والبحث في الجانب الوظيفي لهذه الاستعمالات، وما يندرج في أُطره ضمن مباحث النحو التي انتقاها المتكلّم لإيصال مرادهِ على الوجهةِ الصحيحةِ.

1 – حروف العطف: لا غرابةَ أنْ ((تتعدَّد مظاهر عناية النُّحاة بمراد المتكلّم وتتنوَّع صور العطف على مقاصدهِ ونواياه في بناء أحكام النحو وتقعيد قواعده)) .[2]

ونحنُ نكادُ لا نحيد عن المقام المُعاين والحال المُتمثَّلة نصب عيني ابن جني ، فمن أروع الالتفاتات التفاته إلى موجودات المكان الذي يحتكم إليه في نقل حرف العطف من معنى إلى معنى، فقد تخرج "أو" عن تخييرها ، ليُراد بها حرف العطف (الواو) التي ((تعطف الاسم على اسمٍ لا يصحُّ انفرادهُ ، كقولك: اختصم زيد وعمرو، وجلستُ بين زيد وعمرو، فإنَّ ((الواو)) هاهنا تجمع بين الاسمين في العامل، فكأنَّك قلت: اختصم هذان، واجتمع الرَّجلان، إذا قلت: اجتمع زيد وعمرو)) .[3]

وفي قول المتنبي:

–شديدُ البُعْدِ مِنْ شُرْبِ الشَّمُولِ تُرُنْجُ الهِنْدِ أوْ طَلْعُ النَّخيلِ [4]

([1]) عيد ، محمد عبد الباسط: النسق ...الخطاب...الثقافة (قراءة في كتاب الفسر الصغير لابن جني) ، الخطاب، العدد، 19، القليوبية، مصر ص175–176.

([2]) بكبوك، نور محمد فاضل: المقصديَّة في الدَّرس البلاغي والنقدي في ضوء الدراسات الحديثة ، إشراف : أحمد محمد قدور ومشاركة : سيرين محمد فاضل سيرجية، رسالة دكتوراة، جامعة حلب، 1439–2018، ص115.

([3]) السُّهيلي، وهو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد اللّه المتوفى (581): نتائج الفكر في النحو، تح: عادل أحمد عبد الموجود،–علي محمد معوض، ط:1، دار الكتب العلميّة ، بيروت، لبنان ، 1412–1992، ص196.

([4]) الشمول: من أسماء الخمر، والترنج: لغة في الأترج، وهو ثمر من جنس الليمون، معروف والطَّلع: نور النَّخلة مادام في الكافور، وهو أوّل ما يرى من عذق النخلة. و ورد ذكر هذا النّبات المعروف عند ابن البَيْطار، وهو ضياء الدين أبي محمد عبد الله ابن أحمد الأندلسي المالقي ((الأترج كثير بأرض العرب ، وهو ممّا يُغرَس غرساً ولا يكونُ بريّاً أخبرني بعض الأعراب بأنَّ شجرته تبقى عشرينَ سنة تحمل وجلها مرة واحدة في السَّنة ورقها مثل ورق الجوز وهو طيب الرَّائحة وفقاحهُ شبيه بنور النرجس إلَّا أنَّهُ ألطفُ منهُ وهو زكي ولشجره شوك

فإنَّ "أو" أفادت معنى الجمع بين المتعاطفين ، فجاءت بمعنى "الواو"، لأنَّ العناصر الحاضرة هي نوعان من الزهور، وهذان النَّوعان كانا بين يديّ سيف الدّولة في مقام ذلك المجلس، يقول ابن جني، مستحضراً عناصر المقام :

((وقال، وقد حضرَ مجلس سيف الدّولة وبين يديهِ نارنجٌ وطلْعٌ، ويمتحنُ الفرسان... وقوْلُهُ: أوْ طَلْعُ النَّخيلِ، **وهوَ يريدُ:** وطلْعُ، لأنَّهُ أجرى (أو) مُجرى الواو)).[1]

و بذلك يقرّر ابن جني أنّ خلع الدّلالة الأصليّة لـ"أو " يكون بدعمٍ من السّياق الخارجي ذلك الذي يكشف عن مقصد منشئ النّص .

وتعرض حروف العطف كلَّ ما ينتابُ الذِّهن من شكوكٍ أوتيقُنٍ ثمَّ طلبٍ للتَّحديد فـ "أمْ "تفيدُ اليقين بوقوع أحد الأمرين لكنَّ الشَّكِّ يقعُ إبَّان تحديدِ أيُّ الأمرَينِ وقع، فابن جنِّي يستقري تفكير المُتكلِّم، ثمَّ إنَّه يعرضُ لحالةٍ يقع فيها المُتكلِّم من تردُّدٍ أو شكٍّ أو يقينٍ، وتراهُ يستقري دقَّة المعنى بين (بل) التي تُفيد اليقين وأم التي يليها ((المعادلُ الآخر، ليفهم السّامع من أوّل الأمر الشّيء المطلوب تعيينه)).[2]

فيشعر ابن جني بالحالة الشّعوريّة التي تفيدها "أم " فالمتكلّم قد يتردّد بين أمرين فعلُهُما واقِعٌ لأمرٍ حاصلٍ أو مُدعىً لامحالة وسواءٌ أكانت الرُّؤية قلبيَّةً أم بصريَّةً وهذا ما أقرّه في المثال الآتي:

–أَحُلُماً تَرَى أمْ زَمَاناً جَدِيداً أمِ الخَلْقُ في شخصِ حيٍّ أُعِيدَا؟

يقول ابن جني ((يُريدُ نضارةَ ذلك الوقت...و(أم) الأولى متصلةٌ مُعادلةٌ

حديد)) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، نسخة عن المطبوعة، دار صادر بيروت، 10/1 والفقّاحة : زهرة النّبت حين تتفتّح أيّاً كان لونها ، جمع (فُقَّاحٌ) ، مادة (ف ق ح)، المعجم الوسيط ، عبد السلام هارون وآخرون، ط:3، 1993مجمع اللّغة العربيّة ، مصر.

([1]) الفسر 801/2 : رضا رجب ، ط:1، دار الينابيع، دمشق،(2004). ويرى أبو العلاء أنَّ الشطر الثَّاني لوكان متقدّماً على الأوّل ، لكان أحسن((وقدَّمَ الخبرَ في قوله: شديدُ البعدِ ولو جعلَ النّصف الآخر مكانَ الأوّل لكان حسناً ، وكلا الوجهين سائغ)) اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، محمد سعيد المولدي، تح: التراث، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة.ص936.

([2]) ابن هشام، جمال الدين الأنصاري :مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك ، محمد علي حمد اللّه ، راجعهُ :سعيد الأفغاني، مديريّة الكتب والمطبوعات الجامعيّة ، جامعة حلب، 2005، ص69.

للهمـزةِ علـى معنـى أي كأنَّـهُ قـال: أيَّ هـذَينِ تَـرَى؟ فهـوَ **الآنَ مُـدَّعٍ وقـوعَ أحـدهما لامَحالَـةَ**، فجرى ذلكَ منـهُ مُجْرى قوْلِكَ: أزَيْداً ضَرَبتَ أمْ عَمْراً؟ أي: **لستُ أشُكُّ** في ضـربِكَ أحدهما، ولكنْ أيُّهما هو؟ و(أم) الثَّانيـة مُنقطعـة عن الهمـزةِ. ولكن إنَّمـا هـي للتَّحويلِ مِنْ شـيءٍ إلى شـيءٍ، وكأنَّهُ قال: بلِ الخَلْقُ في شخصٍ حيٍّ أُعيدَ إلَّا أنَّ ما بعدَ **(بل) مُتَيَقَّنٌ وما بعدَ (أم) مشكوكٌ** فيهِ ، ومن كلامِ العربِ : إنَّها لإبلٌ أمْ شاءٌ ، لأنَّـهُ رأى أشباحاً ، فقال كالمُتيقنِ : إنَّها لَإبلٌ ، ثمَّ أدْرَكَـهُ الشَّكُّ ، فقالَ: أمْ شاءٌ؟ أي: أمْ هـي شـاءٌ؟ فما بعد أم هذه كـلامٌ مستقلٌ بنَفسِـهِ، فالخلقُ إذاً مرفوعٌ بالابتداء وخبرهُ (أُعيدَ) وإنَّما ادَّعى أنَّهُ في حُلُمٍ أو أنَّ الزَّمانَ قد استجدَّ ما لم يكن مَعهوداً بضربٍ من المُبالغةِ في وصفِ زَمَنِ الممدوحِ ...)). [1]

2-التّنكير: حـاولَ ابـن جنـي جاهداً أنْ يـربط الكـلام بـ" نيَّـة المُتكلّم "فـي إبقـاء الأمـر شائعاً غير مُخصَّصٍ، فقد أحسَّ من خلال تحليله للنصوص أنَّ المُتكلِّم ينتقي خطاباً مُعيَّناً لغاياتٍ يرومها في إفادة المُخاطب من هذا أنَّ المتنبي قال معزياً سيف الدّولـة الحمداني بأخته الصُّغرى سالياً إيَّاه بقاء أخته الكُبرى

-وَبِأَلْفاظِكَ اهْتَدَى فَإذا عزَّا كَ قالَ الذي لهُ قُلْتَ قَبْلا [2]

((وَنَصـبَ (قـبلاً) علـى الظَّـرفِ، وجعلـهُ نكـرةً كقولـكَ أوَّلاً، ولـم تنـوِ تعريفـهُ، فتضمُّهُ. تقول على هذا جئناكَ قبلاً، وهذا على مِثْلِ قولِكَ: جِئناكَ أوَّلاً وآخراً)).[3]

ومن تحليلِهِ للتعريف والتَّنكير في الخطاب يلتمسُ للمُتكلِّم حريَّة الاختيار ما

([1]) الفسر 963/1 وما بعد نشير إلى أن أبا العلاء المعري يرى أنَّ في هذا البيت فيه منقصةٌ لو أريدَ به عموم الخلْق إذ المُراد به الخصوص منهم من ذوي العقول يقول ((قد كثُر في الشّعر قولهم للرَّجل: كأنَّه الخَلْقُ وكأنَّهُ النَّاسُ كُلُّهُم، ومن ذلك قولُ القائل:

-ولَيْسَ اللّه بِمُسْتَنكَرٍ أنْ يَجْمَعَ العالمَ في واحدِ.

=وهذا ممَّا يخرجُ على العموم، والمُراد به الخصوص، لأنَّه لو عُمَّ به الخَلْقُ كلُّهم لكانَ ذلك مَنْقَصَةً عظيمةً على الممدوح إذ كانَ العالم فيه المجنونُ والأحمقُ والأخرسُ وغير ذلك من الأشياء المذمومة)) اللامع العزيزي :المعري، وهو أبو العلاء أحمد بن عبد اللّه (363-449) اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، محمد سعيد المولدي، تح: التراث، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة. ص330.

([2]) الفسر 5/3.

([3]) الفسر 6/3 ويُنظر اللامع العزيزي لأبي العلاء المعري، ص962.

بين التَّعريف والتَّنكير، وكأنَّ المُتكلِّم يرصفُ كلامهُ تِبعاً لغاياتهِ التي أثَّرت في العلامة الإعرابيّة.

3-الضّمير المتصل:

ومن الموضوعات التي تتعلَّق بتقديم المُضمَر على المُظهرِ رغبة المُتكلم بتفخيم أمر مخاطَبه، فيُغيِّب المُخاطَبَ المُتعقَّل في العقل ، ثم يُصرِّح به، وهذا ما أشار إليه الرّضي في قوله: ((إذا قصدت الإبهام للتَّفخيم ، فتعقلت المفسِّر في ذهنك ، ولم تُصرِّح به للإبهام على المخاطَب ، وأعدت الضّمير على ذلك المُتعقَّل ، فكأنَّهُ راجعٌ إلى المذكور قبله ، فذلك المُتعقَّل في حكم المفسِّر المُتقدِّم)).[1]

ويُرجع ابن جني هذه الظَّاهرة إلى نيَّةٍ قائمةٍ في نفس المُتكلِّم تتلاعبُ بمفردات اللُّغة، فتُقدِّم وتؤخِّر ليتوافق الكلام مع المُراد وإنْ كان ابن جنِّي في هذا المثال لم يجهر لنا صراحةً بالمُراد، فإنَّنا نقول لعلَّ المُراد من تقديم الضَّمير هو تشويق المُخاطَب ولفت انتباهه للكلامِ المبيَّتِ، ثمَّ يأتي بالمؤخَّر بعدما حثَّ النَّفس وأثار تساؤلاتها بذكرِ مؤشراتٍ سياقيَّة عن صفاتها ليَنقلَ المُخاطَب من مرحلةِ الشَّك إلى مرحلة اليقين، وذلك في قوله:

-وبيْنَ الفَرْعِ والقدَمَيْنِ نورٌ يَقُودُ بِلا أزِمَّتها النِّياقَا[2]

(((الهاء) في(أزمَّتها) ضميرُ النِّياقِ وجازَ تقديمُ المُضمَرِ على المُظهَرِ ، لأنَّهُ في النِّيَّةِ مؤخَّرٌ وذاكَ أنَّ مرتبةَ المنصوب بوقوعِ الفعلِ عليهِ أنْ يكونَ قبلَ المجرورِ بحرف الجَرِّ فإذا اتَّصل ضميرهُ بالمجرور جازَ أنْ يتقدَّم في اللَّفظِ عليهِ ، لأنَّهُ في النِّيَّة مؤخرٌ بَعْدَهُ...)).[3]

ثانيا : الاستعمال: كثيراً ما انساق ابن جنّي وراء ذوقه، وتوسَّع في نظرتهِ

([1]) الرضي: شرح الرَّضي على الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر ، ط:2، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي،1996 -407/2

([2]) الفرع: الشعر، والأزمة : جمع زمام وهو ما تقاد به الدَّابة . (اليازجي، ناصيف: العرف الطيب ص35)..وعنى بالنُّورِ جسمها ، ومعنى ، تقودُ بلا أزمَّتها النِّياقا، أي تسوقُها، وتُضيءُ لها ، فتقتادُها ، الفسر 465/2.

([3]) الفسر 464/2

لاستعمالات الأساليب، وكذلك تذوّق معانيها المختلفة ، وهذا ما أكده مصطفى ناصف حين وجد أنَّ ((هذه الملاحظات المتناثرة التي تصوّر رغبة اللُّغويين في النّفاذ إلى معاني الأساليب واستعمالاتها قد برزت في الخصائص لابن جني من ذلك ما عقدهُ فصلاً بعنوان مشابهة معاني الإعراب معاني الشّعر)). [1]

وابن جني لم يدقق النَّظر في جزئيّات التَّركيب بقدر ما دقق النَّظر في غاياته التَّواصليّة الإبلاغيّة ومقاصده الاجتماعيّة، وهذا ما سيتضح أيضاً من خلال شرحه لديوان المتنبي وتوضيحه للفروق الدلالية و لما يعنيه المتكلم عن طريق استعمال بعض الأساليب التي أثرتْ في بناء المعنى ، وقد تجلّى ذلك في أبوابٍ عديدةٍ ، منها:

1 – **الاستثناء:** يراعي ابن جني بدقة تجليات الأساليب العربيَّة وما فيها من استعمالات ودلالات مستعملة في الحياة اليومية تخرج لمقاصد اجتماعيَّة، فههنا الاستثناء وإنْ كانَ غريباً في استعمالهِ إلَّا أنَّه قد سُمع عن العرب، وجاء باستعمال " لكن وغير " على سبيل المدح والتَّفخيم والتَّعظيم وهو إسباغُ صفةٍ مدحيَّةٍ، ثمَّ إسباغُ صفةٍ مدحيَّةٍ أخرى، وبذلِكَ يُصدَمُ السَّامعُ ويقعُ الأثر في نفسهِ لِما فيهِ مِنْ خروجٍ عن الأصل يقول المُتنبي:

–ووفاءٌ نبَتَّ فِيْهِ ولكِنْ لَمْ يَزَلْ لِلوَفاءِ أهْلُكَ أهْلَا

((هذا استثناءٌ **معروفٌ للعَربِ**، يقولونَ فُلانٌ شريفٌ غيْرَ أنَّهُ شُجاعٌ وأخبَرنا محمَّد بنُ الحسنِ، قالَ: هذا استثناءُ قيسٍ. وأنشدَ أبو العبَّاسِ:

فتىً كَرُمَتْ أخْلَاقُهُ غَيْرَ أنَّهُ كَرِيْمٌ فَلَا يُبقي على المالِ بَاقِيَا [2]

وبذلك لم تصبح "غير" تعبيراً مسكوكاً يأتي بكلامٍ مُخالفٍ لِما قبله كقولنا فلانٌ شُجاعٌ غير أنَّهُ بخيلٌ بل جاءت بـ((تعاقبٍ على أساس إضافة عنصر إخباري جديد)) [3] يبتغيهِ المتكلِّم ،**لتوكيد المدح بما يشبه الذّمّ.**

ولعلَّ من مظاهر العبقريَّة عند ابن جنِّي أنَّهُ **فهم استعمال(غير) لكلام وقعَ**

([1]) نظريّة المعنى في النقد العربي ، دار الأندلس ، بيروت، ص22.

([2]) الفسر 8/3.

([3]) الزناد، الأزهر : نسيج النص،ط:1، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 1993ص56.

أو محتمل الوقوع – أي الشك فيه – لكنَّ الأمرَ ليسَ كذلك باستخدامِ أداة الحصر إلَّا التي **تفيدُ تحقيق الفعل بعدها على وجه اليقين**، وهذا ما شرحهُ في معرضِ حديثه عن معنى البيت الآتي وإنْ لم تكنْ إلا قد ذُكرت في البيت الشّعري لكنّ سياق البيت قاد ابن جني ، ليشرح :

–وَنَفسٍ لا تُجِيبُ إلى خَسِيسٍ وَعَينٍ لا تُدارُ على نَظِيرِ

((ليس في قولهِ: ونَفسٍ لا تُجِيبُ إلى خَسيسٍ دَلالةٌ على أنَّهُ قد دعاهُ إلى الخسيسِ، فامتنعتْ عليهِ إنَّما أخبرَ أنَّها لا تُجيبُ إليْهِ، فقدْ يُمكنُ أنْ تكونَ قد دُعِيَتْ إليهِ، فأبتْ عليهِ، ويُمكنُ ألَّا تكونَ دُعِيَتْ إليهِ أصْلاً، فيكونُ معناهُ ولو دُعِيَتْ إليهِ لما أجابتْ...وهذا كقولكَ: واللَّهِ ما أحْسَنَ إليَّ زيْدٌ، فَيُمْكِنُ أنْ يكونَ قد سأله الإحسانَ، وأنْ لا يكونَ سألَهُ، ألا تراكَ تقولُ: ما قامَ غيرُ زيدٍ ؟ فقد يجوزُ أنْ يكونَ زيْدٌ قد قامَ، وقد يجوزُ أنْ لا يكونَ قامَ، لأنَّكَ إنَّما أخبرتَ عن غيرهِ بأنَّهُ لم يَقُم، ولم تَعرضْ لزيدٍ بإخبارٍ عنْهُ بقيامٍ ولا بتركهِ، فأمَّا إذا قُلتَ :ما قام إلَّا زيدٌ فقد قامَ لامَحالَةَ ، لأنَّ (إلَّا) للتَّحقيقِ ، فقد حقَّقتَ له القيامَ ، وهذا أحدُ ما بينَ(إلَّا) و(غير) مِنَ المعاني، فقد يجوزُ أنْ يكونَ غيريْ دعاني إلى الخسيسِ ، فأبيتُ عليهِ)).[1]

وإنَّ المُلاحظ في ذلك التحليل العميق بعدٌ آخر فيبدو لنا أنَّ ابن جني على درايـة بقواعد الاستلزام الحواري وخواصه [2] فمن إحدى خواصهِ أنَّهُ قابلٌ للإلغاء

([1]) لفسر 144/2.

([2]) يقصد بالاستلزام الحواري الذي اقترحه غرايس ((أنّ النّاس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون ، وقد يقصدون أكثر ممّا يقولون ، وقد يقصدون عكس ما يقولون ، فجعل كلّ همه إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يقصد ، فما يُقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللّفظيّة ، وما يُقصد هو ما يريد المتكلّم أن يبلغه السّامع على نحو غير مباشر اعتماداً على أنّ السّامع قادر على أنْ يصلَ إلى مراد المتكلّم بما يُتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال، فأراد أنْ يقيمَ معبراً بين ما يحمله القول من معنى صريح ، وما يحملهُ من معنى متضمن ، فنشأت عندهُ فكرة الاستلزام)) نحلة، محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللُّغوي، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص33.، إنّ من أهم خواص المحادثة بين المتكلم والمخاطَب الافتراض المُسبق ، أي أن يكون المتكلم على درايةٍ أنَّ المُخاطب عندهُ أساس مسبق عن طبيعة المتحدَّث عنهُ أيْ أن يكون بينهما أساس مشترك وإلا فسينتج ما يُسمّى ((سوء الفهم يحدث في كثير من الأحيان ، نتيجة فقدان الأرضيّة المشتركة **للاستخدامات اللّغويّة** ذات المعاني المُتعددة . فقد يفهم شخصٌ قولَ صديقهِ ((أنت طيّب قوي)) أنّهُ يتّهمه

((ويكونُ ذلك عادةً بإضافةِ قولٍ يسدُّ الطريق أمام الاستلزام أو يحولُ دونهُ، فإذا قالت قارئة لكاتب مثلاً: لم أقرأ كلَّ كتبك ، فقد يستلزم ذلك عندهُ أنَّها قرأت بعضها ، فإذا أعقبت كلامها بقولها ، الحق أني لم أقرأ أيَّ كتابٍ منها، فقد ألغتِ الاستلزام)) .[1]

و ما أشبهَ هذا النص الذي يمثل صلب الحداثة بتحليل ابن جني الذي يمثل صُلب الأصالة، فتحليله يظهر لنا أنَّ افتراض اعتقاد المخاطَب القيام أو البقاء جالساً أمرٌ متراودٌ إلى ذهنه لأنّ المتكلّم لم يردف كلامهُ بما يلغي إحدى تلك الظنون و بعبارة ابن جني الجوهريّة " ولم تَعرضْ لزيدٍ بإخبارٍ عنْهُ بقيامٍ ولا بتركهِ" أي لم تردف كلامك بعبارةٍ تبطل تلك الظنون المتراودة .

2-في العالمين: عرف ابن جني عادات العرب في استعمالاتهم اللّغويّة وإنجازاتهم الكلاميَّة التي أصبحت عرفاً مُتداولاً فيما بينهم ، فقد أولى "ابن جني" هذا الإرث عنايتهُ [2]، فالمؤلف كما يؤكد "شلير ماخر يقدّم استعمالات جديدة للغة دون أن يتجاوز لغته وتقاليدها وتاريخها وهنا تبرز دقة المحلّل في الكشف عن عظمة العمل الأدبي بطرح استعمالات جديدة ((إنّني أفهم المؤلّف بقدرِ توظيفه للّغة ، فهو -من جانب- يُقدّم في استعماله للغة أشياء جديدة ، ويحتفظ -من جانب آخر -ببعض خصائص اللُّغة التي يكررها وينقلها))[3].

ويعتمدُ ابن جني على ما سمعه من رواياتٍ تصفُ استعمال اسم صار بالنَّصب لشبهه عندهم بـ"الذينَ" على أنَّ ابن جني لم يُغفل تقييم هذا الاستعمال إذْ وجدهُ ضعيفاً وهذا ما جعله ينبهُ على تلك القضيَّة، ورُبَّما يكونُ ضعيفاً -في نظره-

---

بالسذاجة أو الغفلة ، فيغضب منه، وربما كان هذا الصّديق يقصد المعنى الحرفي...)) يوسف، جمعة سيّد: سيكولوجيّة اللّغة والمرض العقلي، عالم المعرفة، الكويت(145) يناير ، 1978، ص 82ومن هنا يستلزم على المتكلّم معرفة المعاني الإضافيّة التي قد يستلزمها الحوار ، ويلحق كلامه بما يُبطل المعاني التي لا يقصدها.

([1]) نحلة، محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللُّغوي، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص38.

[2]) المقصود بالإرث: الرّصيد اللغوي المستعمل والمنقول أصلاً من فصحاء العرب .

[3] (Shlirmacher,PE Outline of the 1814L ectures,in newL iterary history trans by Jan Wajcik and Roland Hass.p13

.نقلاً عن د.نصر حامد أبو زيد: إشكاليّات القراءة وآليات التأويل ، ط:1، مؤمنون بلا حدود، المركز الثقافي العربي ، الدّار البيضاء، المغرب، 2014، ص21.

لندرته وعدم شيوعه وسماعهِ في تاريخه، وهُنا يبدو ابن جني لُغويَّاً وصفيّاً، يصف الظَّاهرة ، ثمَّ يعلِّلها لأسبابٍ سماعيَّةٍ شفهيّة وليس لأسبابٍ قياسيَّةٍ تُقعّد بين السُّطور، يقول :

–أوْ كانَ للنِّيرانِ ضوءُ جبينِهِ عُبِدَتْ فصار العالمون مَجوسَا

((ويُروى: فصار العَالَمِيْنَ، وربَّما أنشدهُ كذلك وذلك ضعيفٌ جداً، ووجْهُ الجَوازِ فيهِ أنَّهُ **كَثُرَ استعمالُهُ**، فربَّما شبَّهته العربُ بالذينَ، فتركتهُ في موضِعِ الرَّفعِ بالياءِ أيضاً. كذلك حكى بعضُهم ولا نعرفهُ نحنُ...)). [1]

إذْ تبقى على صورة الياء في أحوال الإعراب كلّها.

3–أسماء الإشارة: لم يقف ابن جني عند استعمال كلام العرب فحسبُ، بل التفت أيضاً إلى خواص شعر المتكلم ومزاياه، فوجده يستعمل أسماء الإشارة كثيراً:

–شغلتَ قلبي بلحظِ عيني إليكَ عن حسنِ ذا الغناءِ

وأشار إلى ذلك في محادثته:((قلت له في بعض ما كان يجري بيني وبينه: **تستعمل** (ذا)و(ذي) في شعرك كثيراً، فأمسكَ قليلاً، ثمَّ قال: إنَّ هذا الشّعر كلّه لم يُعمَلْ في وقتٍ واحدٍ، قلْتُ له صدقتَ: إلَّا أنَّ المادة واحدةٌ، فأمسك)). [2]

وهذه الملاحظة تنمُّ عن دقة ملاحظة ابن جني وتأمُّله للاستعمال اللّغوي عند المتنبي.

4–القسم : والقسم بالسّيفِ و الرمح أسلوبٌ **مستعملُ عند العرب**، وهذا ما وضحه ابن جني في تعليقه على بيت المتنبي بقوله:

–وسيْفي لأنتَ السّيفُ لا ما تَسُلُّهُ لِضربِ وممّا السَّيفُ منْهُ لكَ الغِمْدُ

((وسيفي) أقسمَ بسيفهِ ، ثمَّ أقبلَ على الممدوحِ ، فقال: لأنتَ السَّيفُ لا السَّيفُ الذي تسلّهُ ، لتضربَ بهِ الأعداءَ ، أي: أنتَ في الحقيقةِ سيفٌ لا السَّيفُ المطبوعُ منَ الحديدِ ، لأنَّكَ أمضى منهُ)). [3]

([1]) الفسر 266/2.

([2]) الفسر 127/1.

([3]) الفسر 1023/1.

ومنهُ أيضاً:

–ورُمحي لأنتَ الرُّمحُ لا ما تبلُّهُ نجيعاً ولولا القدْحُ لم يُثْقبِ الزّند [1]

((أقسم أيضاً برمحه، وقد فعلت العرب هذا)). [2]

فهو يكشف لنا عن إمكاناتٍ أسلوبيّةٍ ، تكشف عن التّصرّف اللغوي لاستعمالات اللّغة، فقلّما تقسم العرب بالسّيفِ والرّمح ، لكنّ هذا الاستعمال اللّغوي الخاص قد سُمع عنها على ندرته.

6– التَّوكيد:

في الدراسات اللّسانية الحديثة يقوى الفعل الخطابي باستعمال مفرداتٍ تقوّي فحواه ، وهذا الأسلوب يُسمَّى التقوية ، فـ ((لتقوية الفحوى الخطابي بوصفهِ طبقة من طبقات الفعل الخطابي وسائل معجمية أو صرفيّة –تركيبيّة معززة بالتَّنغيم .يُقوَّى الفحوى الخطابي معجميَّاً بفعلٍ من أفعال التَّوكيد (مستعملاً استعمالاً إنجازيّاً) أو بلاحقٍ من اللَّواحق التي تفيده، منها على سبيل المثال "بكل تأكيد"و "بدون شك"و"فعلاً"و"حقاً")). [3]

وتبرز في هذا الأسلوب خاصيّة الاستعمال النحوي التي تمثّل إحدى الخواص التَّداوليّة إذ ((يمثّل العلم بأصول "الاستعمال النحوي" عاملاً هاماً في فهم الكثير من النصوص التي لا يمكن فهمها إلَّا به)). [4]

فالعربُ تستعملُ بعض الكلماتِ في حياتها اليومية لتؤكِّد أقوالها وتجعلها أقوى في الدّلالة والحكم، فتستعمل مثل هذه المفردات لأغراضٍ عديدةٍ كدفع الشك أو التَّأكيد على تعظيم ممدوحٍ ما. وفي هذا بدت نظرة ابن جنِّي الاستباقية لوظيفة مثل هذه

([1]) النجيع: الدم ، الزند: ما يقتدح به، ويثقب: يورى ناراً (البرقوقي، عبد الرحمن: ديوان أبي الطيب المتنبي ، 370/1.

([2]) الفسر 1023/1.

([3]) المتوكل، أحمد: الخطاب وخصائص اللُّغة العربيّة، الدار العربية للعلوم، ط:1، منشورات الاختلاف، الرباط، 1431–2010، ص158–159.

([4]) الجرَّاح ، عامر خليل : الأبعاد التَّداوليَّة في البلاغة العربيّة حتى القرن السّابع الهجري، إشراف: أحمد محمد ويس ومشاركة :د. سويس بطمان، رسالة دكتوراة، جامعة حلب ، 1434–2013 ص99.

المفردات –وسيأتي حديثنا عنها –التي توجب التأكيد وتقوية فحوى الخطاب.

ومن شواهد أثر الاستعمال النحوي استعمال كلمة "مثل "في مقام التَّوكيد ويكونُ ذلك لتعظيم الممدوح والاتِّساع في القول، يقول المتنبي:

–أيموتُ مِثْلُ أبي شُجاعٍ فاتكٌ ويعيشُ حاسدهُ الخَصِيُّ الأوكعُ؟[1]

((معناهُ: أيموتُ أبو شُجاعٍ؟ وجاءَ بـ(مِثْلِ) توكيداً **وصيَّرَ الفعل في اللَّفظِ لها ، والعربُ تفعلُ هذا اتِّساعاً وتعظيماً** للشَّيء أنْ يُعتمَد في اللَّفظِ عليه قال اللَّه عزَّوجلَّ {لَيْسَ كمثلِهِ شيءٌ}[الشُّورى 11] فأدخلَ المِثْلَ، واللَّهُ أعلمُ توكيداً ...وتقولُ العربُ للرَّجلِ إذا أردتَ المُبالغةَ في أمرِهِ: مِثْلُكَ لا يَحْسُنُ بِهِ فِعْلُ القبيحِ، ومِثْلُكَ لا يُخْلِفُ وَعْدَهُ، ويَدُلُّكَ على أنَّهُ لمْ يُرِدْ بـ(مِثْلٍ) غيرَ فاتكٍ، وإنْ كانَ في اللَّفظِ غيرَهُ قوله في موضعٍ آخر:

–مِثْلُكَ يَثْنِي الحُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَرِدُّ الدَّمعَ عَنْ غَرْبِهِ)) .[2]

والتَّوكيد قد يأتي باستعمال أدواتٍ خاصَّةٍ من مثل (لهَنَّكَ) وهي في الأصل (لأنَّك):

–لِهنَّكِ أوْلَى لائِمٍ بِمَلامَةٍ وأحْوَجُ مِمَّنْ تَعذلينَ إلى العَذْلِ

(((لِهنَّكِ) كلمةٌ تُستَعمَلُ عندَ التَّوكيدِ، وأصلُها عندنا (لأنَّكَ)). [3]

ثالثـاً: المقبوليّـة: جـاء علمـاء الـنص بمـا يُسـمَّى مصـطلح المقبوليّـة Acceptability ((الذي يتضمَّن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة من صور اللُّغة ينبغي لها أنْ تكون مقبولة، وهذا القبول من المستمع يتوقف أيضاً على درجة الانسجام بين المتكلّم والمستمع، فقد يتكلَّم شخص تحبه بشيء فتقبله ويتكلَّم شخص لا تحبه بنفس الشيء ولا يحظى بالقبول لديك)). [4]

([1]) الأوكع : الأحمق اللَّئيم والمقصود به كافور وقد ورد عند البرقوقي (يعيشَ) بفتح الشين ، ديوان أبي الطيب المتنبي، تقديم: عمر فاروق الطبَّاع ، دار الأرقم ، بيروت 16/2 (د.ت) .وكذلك ناصيف اليازجي ، العرف الطيب : العرف الطيّب في شرح ديوان أبي الطيّب ، ضبط وتقديم: عمر فاروق الطبّاع ، شركة دار الأرقم ، بيروت، لبنان، (د.ت) ص547.

([2]) الفسر 417/2.

([3]) الفسر 253/3.

[4]) حيدر، فريد عوض: سياق الحال، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ص23.

وهذا المصطلح تعرض لـه ابن جنـي فـي حديثـه عن العاقل فـي كلامـهِ عن حيثيَّـات الخطـابِ ومُواءمتـه لمُـؤَدّي أدوارهِ الـذين هـمْ جـزءٌ أساسـيٌّ مـن حلقـةٍ تمثيليَّـةٍ ،تدورُ في مَناط تفكير المُتفرِّج.

فحيثيّات الخطاب قرائن عقلية لاعلاقة لها بمعطيات النصّ بل لها علاقة بالمقام ((أمّا الدّلالة العقليّة ، فتتمثّل في اعتمادهم على قرائن السّياق التي لا صلةَ لها بالبنية النّحويّة ، وكلّها قرائن تنتمي إلى المقام ، وإلى العلاقة الذّهنيّة بين الرّمز ومعناه))[1]فمُخاطبة العاقل تختلفُ عن مخاطبَةِ مَنْ لا يعقل وهذا ما جعل ابن جني يقعُ في حيرةٍ في مُخاطبة مَن لا يعقل بِمَن يعقلُ لكنَّ المُتنبي لم يتوانَ أيضاً في تفسيرِ تراكيبهِ ، فهوَ يُخبِّر ابن جني أنّهُ لمَّا كانَ المُخاطَب "غير العاقل" تصدرُ عنهُ أفعالٌ تصحُّ لِمَنْ يعقل أجراهُ مَجْرَى مَنْ يعقل، فالمَراتب العالية في المثال الآتي تحالفُ وتساندُ ، أنسبُ ما يصحُّ لهذا الفعل الذي لا يصدرُ إلَّا عمَّن يعقل أنْ تُصبحَ "عواليه" تعقل وتخوض المعارك، فوضعت الضمة على الفعل(تخوضُنَّ) دلالةً على الحرف المحذوف، وهو الواو الدالة على العاقل:

–حالفتْهُ صدورُها والعَوالي لَتَخوضُنَّ دُوْنَهُ الأَهْوالا

((طال بيني وبينَهُ الخطبُ في قولهِ: لتَخُوضُنَّ، فقال: هو مثلُ قولي: وقُلْنَا للسُّيوفِ: هَلُمُّنا، بضمِّ الميم، فذهب إلى أنَّهُ لمَّا وصفها بالمُحالفةِ جرتْ مُجْرَى منْ يعقل، فذكْرُها ذكْرُ الجماعةِ المذكَّرينَ نَحْوَ: حلف الزَّيدونَ ليقومُنَّ وهذا وَجْهٌ، ويُؤَيِّدُهُ قولهُ تعالى: {يا أيُّها النَّمل ادخلوا مَسَاكِنَكُمْ }[النمل 18] ولم يَقُل : ادْخُلنَ مساكنكنَّ وقال تعالى{إنِّي رأيتُ أحدَ عشرَ كوْكباً والشَّمسَ والقمر رأيتُهم لي ساجدين} [يوسف 4] ولم يَقُلْ : رأيتُها لي ساجداتٍ ولا ساجدةً... فهذا كلُّهُ أُجريَ مُجْرَى من يعقلُ لمَّا خوطبتْ وَأُخبِرَ عنها بالسُّجودِ والسِّباحةِ ولأنَّ الأفعالَ في أكثرِ الأمرِ إنَّما هيَ لِمَنْ يعقلُ ، لأنَّ كُلَّ ذي عقلٍ يصحُّ منهُ الفعلُ ، وما ليسَ منْ ذوي العقلِ، فإنَّما يصحُّ الفعلُ من بعضهِ أعني الحَيَوانَ نحوَ الفرسِ والجمالِ ، ومنها ما لا يَصِحُّ منهُ الفعلُ البتَّةَ وهو ما ليسَ بحيٍّ نحْوَ الدَّارِ والنَّارِ والشَّجرِ، فأمَّا إحراقُ النَّارِ بما تقعُ فيهِ ،

[1]) حسّان ، تمّام: الأصول ، عالم الكتب ، مصر ، 1420–2000ص318.

فليسَ فعلاً لها في الحقيقةِ، وإنَّما هو فعلُ اللَّهِ عزَّوجلَّ يفعلُهُ حينئذٍ . وهذا يعرفُهُ أهلُ صِنَاعةِ الكلامِ ...)).[1]

وأخيراً نقول إنَّ اهتمام ابن جنِّي لم يكنْ مُنصبَّاً على الجوانب النّحويّة بقدر ما كان اهتمامهُ أنْ يشُدَّ المُتفرِّجَ ويقنعهُ. فمما لا شكَّ فيهِ أنَّ أجناسهُم وصفاتهم العقليَّة أو غير العقليَّة جزءٌ أساسيٌّ في نجاحِ المَشاهدِ وإقناعِ المُشاهدِ بِمَا يُؤَدَّى أمامهُ، فضمنَ للخطابِ سيرورتهُ وتأثيرهُ و إقناعُ و إمتاعهُ.

رابعاً – قاعدة الاحتياط [2]

يراعي ابن جني الثقافة الاجتماعية ومتطلباتها وشخوصها، فاختيار أسماء أعلامٍ مُعَينين لنُدرتهم جعل الخطاب أمدح وأكثر تبرُّكاً واحتياطاً من اختيار أسماء أعلامٍ تفشّت أسماؤهم وزال أثرهم وسماتهم –كما يرى– ولذلك نحا بالتَّركيب والحركة الإعرابيّة منحىً وظيفيَّاً راعى فيه الأداء المُناسب للخطاب ، فاحتاط من تفشي الاسم وتلاشي مزاياه:

وَمَن يصحبِ اسْمَ ابنِ العَميدِ مُحمَّدٍ يَسِرْ بيْنَ أنيابِ الأساودِ والأُسدِ [3]

فكان الإبدال من ابن العميد على ندرته –كمُخاطَب–أحصن من إبداله من "اسم"، لأنّ هذه الكلمةغير مخصّصةٍ بمزايا ، وكذلك الأمر في " محمدٍ" فهو اسم علمٍ متَفشٍ و كثير الاستعمال والاشتراك بين جموع النَّاس، فاحتيج إلى الإبدال من "ابن العميد "لأنَّهُ اسمٌ معروفٌ مخصَّصٌ بسماتٍ مدحيّةٍ مخصوصةٍ تثير في الذّهن تداعيات خاصة.

((يجوز ((محمّدٍ)) ومحمَّداً)) والذي قاله بالجَرِّ، وهو أمدحُ مِنْ أنْ يَنْصُبَ

---

[1]) ا لفسر 22/3

[2]) ذكر هذه القاعدة الباحث عامر الجراح في بحثٍ بعنوان الأبعاد التداولية في البلاغة العربية حتى القرن السابع الهجري، إشراف: أحمد محمد ويس ومشاركة :د. سويس بطمان، رسالة دكتوراة، جامعة حلب ، 1434–2013 ص86 وكان قد استنبطها من "باب في الاحتياط " للمعاني ، لابن جني : يُنظر الخصائص تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية ، المكتبة العلميّة، 1952 رقم الباب (131) ومنه استقينا العنوان لمناسبته للمثال أعلاه.

[3]) الأساود: الأفاعي (البرقوقي، عبد الرحمن: ديوان أبي الطيب) 410/1.

لأنَّه إذا نَصَبَ أبدَلَهُ مِن (اسم) وإذا جرَّ أبدلَهُ من ((ابن العميد))...وإنَّما صار أمْدَح لأنَّ ابنَ العميدِ اسمٌ لا يُشارِكُهُ فيه غيرُهُ و((محمد)) اسمٌ مُشتَرَكٌ ، فإذا ذكَرَ مُحمّداً لم يُعلَم مَن يعني ، فلَم يُعبَأ بهِ، وإذا ذكرَ ابنَ العَميدِ ، فهوَ مشهورٌ معروفٌ لبُعدِ صيته وامتداد ذكره، فلهذا كانَ الجرُّ أقوى وضعُفَ النَّصب ...فإنْ قلتَ : فإذا كانَ ابنُ العميدِ مشهوراً كما ذكرْتَ ، فما كانت الحاجة إلى إبدال محمَّد والإبدال فيه ضربٌ من البيان ، وهذا مُستغنٍ عنه لشهرته ، فإنَّه إنَّما فعل ذلك توكيداً ، وقد أكثرت العرب من ذلك...)) .[1]

ومن هنا تجلّت القدرة على ربط الصّوت اللّغوي بغرض **تحصين فهم المتلقي** ، وأداء غرض المتكلّم من إعلاء منزلةِ مخاطَبه وإذا كان ابن جني قد استطاع ربط الحركة الإعرابية بغايات إخباريّة تخصُّ التّواصل اللّغوي ، إلّا أنّنا نرى أنَّ الإبدال سواءٌ أوقع على "ابن العميد" أو " اسم" فإنَّ ذهن المتلقي سيبقى مرتبطاً باسم ابن العميد المشحون بدلالات خاصةٍ ترجع إلى المواقف النّفسيّة والاجتماعيّة التي استُعملَ فيها .

خامساً: قاعدة التحسين:

في مقام المدح والتَّعظيم للمُخاطَبِ هناك أفعال وتصرُّفات تجعلُ المُتكلِّمَ يُثني عليه ويُعلي من شأنه، ومن هنا يختارُ ابن جني فتحَ الفاء، في كلمة (فُحُول) [2] لتجري على الجواب وتصبح (فَحول)[3] وهذا يدلُّ على أنَّ ابن جني لم يكن يعرض أبيات المُتنبي ويُفسرها كما جاءت عند المُتنبي بل إنَّه يقلِّب الوجوه وينتقي الأفضلَ لتكون أقرب إلى المقام ومنزلة مخاطبه ثمَّ يُفسِّر السَّبب ففي قول المتنبي:

–ما يبْعَثُ الخُرْسَ على السُّؤالِ فُحُولُها والعُوذُ والمَتالي

[1]) الفسر 1146/1–1147

([2]) الفحول: معروف الذّكر من كلِّ حيَوان وجمعهُ أفحل، لسان العرب،(مادة ف ح ل).

([3])الحائل الأنثى من ولد الناقة، و ويكونُ جَمْعَ حائلٍ: وهي التي حالتْ فلم تحملْ لسان العرب (مادة ح ول).

– تَوَدُّ لو تُتْحِفها بوالِ يَرْكَبها بالخُطمِ والرِّحَال [1]

يرى ابن جني ربط السّبب بالنّتيجة أقوى في المدح ، فالممدوح عضد الدَّولة وهذا الممدوح قد ذاع صيتُهُ في شتَّى البلاد ، وكلُّ مَنْ سمع أخبارهُ تمنَّى ولايتهُ من إنسٍ وحيوانٍ لسيبِهِ وعطائهِ، ولذلك كان فتح الفاء "فحولَها" على أن تكون فاء الجواب أقوى من رفعها على أنْ تكون "ذكر الحيوان" لأنّهُ ربط السّبب بالنّتيجة .

((ولو قالَ: (فَحُولُها) بفتحِ الفاءِ على أنْ تكونَ(فاء) الجوابِ[2]، كما تقولُ: قدْ أكثَرتَ منَ الجميلِ، فالنَّاسُ كلُّهمْ شاكرٌ لكَ، فَتأْتي بالفاء، لأنَّ فِعْلَهُ الجميلَ هو الذي كانَ سبَبَ الشُّكرِ، فكذلك هذه الوَحْشُ إنَّما تمنَّتْ أنْ يُتحفَها بوالٍ لمَا سمعتْ مِنْ أخبارهِ النَّجيبةِ لكانَ وَجْهاً)) .[3]

وعلى هذا فإنّ حديث ابن جني عن التّحسين أو الإصلاح يعدُّ ((أحد المفاهيم اللّغويّة التي طرحها ابن جني لوصف التّعبير الذي يحصل في بنية الكلام لأجل أداء وظائف بلاغيّة وجماليّة)).[4] كشفت عن إمكانات الخطاب وتصوّر وجهه الإبداعي.

الخاتمة:

وهكذا تتبعنا مصطلحات ابن جني التي صرّح ببعضها وبعضها الآخر لم يُصرح به ، بل استنتجناه من خلال تتبُّع آرائه ، وكانت قد ارتبطت جلُّها بمصطلحات ثرّةٍ تمثّل صُلبَ الحداثة ، فقد راعى فيها : مقصدية المتكلم،و الاستعمال، والمقبولية، و ظهرت لنا مقاييس تداولية أخرى تخرّجُ الخطاب إلى أرقى مستوياته ، فقد راعى قاعدة" الاحتياط " التي تخصّ المخاطّب وقاعدة " التحسين" التي

---

[1]) (العوذُ) جمعُ عائذٍ، وهي الناقة القريبةُ العهد بالنتاج ...و(المتالي) : جمعُ مُتْلِيَةٍ، وهي التي معها أولادُها تتلُوها ...و(الفُحولُ) : جمعُ فَحْلٍ الفسر 309/3. والخُطْم : جمع خطام ، وهو الزمام ، وخطمتُ البعير زممتهُ . والرّحال : جمع رحل ، وهو للإبل كالسروج للخيل(البرقوقي، عبد الرحمن: ديوان أبي الطيب) 314/2.

[2]) المقصود بـ"فاء الجواب" فاء الاستئناف السببي.

[3]) الفسر 309/3 وما بعد.

[4]) مشبال ،محمد:البلاغة والأصول (دراسة في أسس التّفكير البلاي العربي ، نموذج ابن جني)أفريقيا الشّرق، 2006–المغرب. ص72.

نموذج ابن جني)أفريقيا الشّرق، 2006–المغرب. ص72.

تخصّ الخطاب بشكل عام.

وهذا ما جعلنا نصل إلى نتيجةٍ مفادها أنّ النظرّة التّداوليّة كانَ لها أثرها في تحليلات ابن جني للخطابات اللّغويّة ، إذْ تبيّن لنا مراعاته لاستعمالات منشئ النّص ومقصديّته في نصّه ، فغاصت تحليلاتهُ إلى كنه المعنى ، وهو يبرز لنا من جانبٍ آخر حيويّة نظرته للّغته ، و مراعاتهِ تجدّد طاقاتها الإبداعيّة في وقتها واستعمالها في محيطها الاجتماعيّ ، فربط لنا زمام التّركيب ، وقدّمهُ لنا ناضجاً في زمانه ومكانه. ويبدو لنا أخيراً أنّ ابن جني قد راعى القطب الآخر من العمليّة التّواصليّة ، وهو المخاطَب الذي يرتبط إقناعهُ وقبوله للخطابات المستعملة بنجاح العمليّة التّواصليّة

المصادر والمراجع:

المصادر:

1. **ابن جني:** الخصائص (ثلاثة أجزاء); تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية (1957، 1952).
2. **ابن جني:** الفسر (ثلاثة أجزاء) رضا رجب، ط:1، دار الينابيع، دمشق(2004).

المراجع:

1-**الأنباري، أبو البركات عبد الرّحمن بن محمد بن أبي سعيد** : أسرار العربيّة ، تح: محمد بهجة البيطار ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بمشق، (1957).
2- **البرقوقي، عبد الرّحمن:** تقديم: عمر فاروق الطبَّاع ، دار الأرقم ، بيروت ،لبنان (د.ت).
3-**بكبوك، نور محمد فاضل:** المقصديَّة في الدَّرس البلاغي والنقدي في ضوء الدراسات الحديثة، إشراف: أحمد محمد قدور ومشاركة: سيرين محمد فاضل سيرجية، رسالة دكتوراة، جامعة حلب، 1439-2018.
4- ابن البَيْطار، ضياء الدين أبو محمد عبد الله ابن أحمد الأندلسي المالقي الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، نسخة مصوّرة عن المطبوعة، دار صادر بيروت(د.ت).

5- **الجرّاح ، عامر خليل** : الأبعاد التَّداوليَّة في البلاغة العربيّة حتى القرن السّابع الهجري، إشراف: أحمد محمد ويس ومشاركة :د. سويس بطمان، رسالة دكتوراة، جامعة حلب ، 1434-2013.

6- **حسّان ، تمّام**: الأصول ، عالم الكتب ، مصر ، 2000.

7- **حيدر، فريد عوض**: سياق الحال، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، (د.ت).

8- **الزناد، الأزهر** : نسيج النص،ط:1، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 1993.

9- **أبو زيد ، نصر حامد**: إشكاليَّات القراءة وآليات التأويل ، ط:1، مؤمنون بلا حدود، المركز الثقافي العربي ، الدّار البيضاء، المغرب، 2014.

10-**السُّهيلي، وهو أبو القاسم** عبد الرحمن بن عبد اللّه المتوفى (581): نتائج الفكر في النحو، تح: عادل أحمد عبد الموجود،علي محمد معوض، ط:1، دار الكتب العلميّة ، بيروت، لبنان (د.ت).

11- **السيوطي، عبد الرّحمن جلال الدّين** : المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، شرحهُ وضبطه: محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون،ج:1 ، ط:3، مكتبة دار التراث ، القاهرة، (د.ت)

12-**الصّحراوي، مسعود**: التّداوليّة عند العلماء العرب ، دار الطّليعة ، بيروت(د.ت)

13-**عيد ، محمد عبد الباسط**: النسق ...الخطاب...الثقافة (قراءة في كتاب الفسر الصغير لابن جني) ، الخطاب، العدد، 19، القليوبية، مصر.

14-**قباوة، فخر الدّين**: منهجيّة التّحليل النّحوي للنصوص الأدبيّة ، ط: 1، مكتبة لبنان، بيروت، 2012.

15- **المتوكل، أحمد**: الخطاب وخصائص اللُّغة العربيّة، الدار العربية للعلوم، ط:1، منشورات الاختلاف، الرباط، 1431-2010.

16- **مشبال، محمد**: البلاغة والأصول (دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي نموذج ابن جني) أفريقيا الشّرق، المغرب، 2006.

17-**المعري، أبو العلاء** أحمد بن عبد اللّه (363-449) :اللامع العزيزي، شرح ديوان المتنبي، تح :محمد سعيد المولدي، التراث، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة ، الرّياض (د.ت).

18- **ابن منظور**، أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب ، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر (د.ت).

19-**ناصف، مصطفى**: نظريّة المعنى في النقد العربي، دار الأندلس، بيروت (د.ت).

20-**نحلة، محمود أحمد**: آفاق جديدة في البحث اللُّغوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندريّة 2002.

21- **هارون ،عبد السّلام** وآخرون: المعجم الوسيط، ط:3، 1993مجمع اللّغة العربيّة، مصر.

22-**ابن هشام، جمال الدين الأنصاري** :مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك ، محمد علي حمد اللّه، راجعهُ :سعيد الأفغاني، مديريّة الكتب والمطبوعات الجامعيّة ، جامعة حلب، 2005.

23- **اليازجي ، ناصيف**: العرف الطيّب في شرح ديوان أبي الطيّب ، ضبط وتقديم: عمر فاروق الطبّاع، شركة دار الأرقم، بيروت، لبنان.

المراجع الأجنبيّة

1-Shlirmacher,PE.Outline of the1814 Lectures,in new literary history' trans by Jan Wajcik and Roland Hass.